وانما اسند علمهم اليه ذ انه لا يعلم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه ليتميز التابع
من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة
والضمير في كانت لما دل عليه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة
او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله
الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطف
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم
واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة
واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة
عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا
كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا
يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا
قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله عليه السلام وختنه
على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرى الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم
المعرفة ويجوز ان يكون متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد
في الدار ام عمرو وقراة ابن ابي اسحاق على عقبيه بسكون القاف وقراء اليزيدي
لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام
الاصل ان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرى ليضيع
بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا
اناملة تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى
للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي
نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت
المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت
مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك
وقراة ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب رضي الله عنه قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر
فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان
الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل
تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه
حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة
الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان

في بشارة

في بشارة انبيائهم برسول الله عليه السلام انه يصلي الى القبلتين يعلمون غرض باها
والناو ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت
بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد
جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا
قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة
وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم
حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان
يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرى بتابع قبلتهم
على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك
مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان
اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر الله عز وعلا عن
تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه
بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن
اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله
وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم
مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم
الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال
من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق
فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى
قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا في حكم الاتحاد في
البطلان قبلة واحدة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله
جميعا ان الله على كل شيء قدير يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم
معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم
لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن
سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله
عنه راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس
على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما
بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القران او التحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه فان قلت
لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم
الصق فالفريق منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم